

## مصير المنطقة يتقرر في العراق

خيرالله خيرالله  
إعلامي لبناني

الرغم من مطالبة "حزب الله" بإبائنا غطاء له!

تتمن أهمية كل ما يجري في العراق في أنه موجه ضد إيران، مباشرة وعلنا، وضد مشروعيها التوسعي الذي كانت له انطلاقا جديدة بعد الاحتلال الأميركي للعراق في العام 2003 وعودة زعماء الميليشيات المذهبية العراقية إلى بغداد على ظهر دبابية أميركية. بات زعماء هذه الميليشيات في معظمهم، يشكلون قيادة "الحشد الشعبي" الذي يفترض أن يكون الأداة الإيرانية، التي تستخدم في السيطرة على العراق، على غرار "حزب الله" في لبنان. من الطبيعي في ظل هذه المعطيات أن تلقى إيران بنقلها لقمع التحرك الشعبي في العراق، الذي لم يكن أي يوم لقمة سائغة لإيران، مثلما هو منذ تولي عادل عبدالمهدي موقع رئيس الوزراء.

تفوق عادل عبدالمهدي على نوري المالكي الذي قبل بعد العام 2010 أن يكون مجرد أداة إيرانية طيعة من أجل البقاء في موقع رئيس الوزراء قبل أن تطيح أحداث الموصل وفضيحة تسليمها إلى "داعش" في حزيران - يونيو 2014.

من العراق، انطلقت إيران بعد 2003 في كل الاتجاهات. وبرزت وجودها أيضا في سوريا وكذلك في لبنان، خصوصا بعد اغتيال رفيق الحريري في 14 شباط - فبراير 2005.

إيران تستعمل كل ما في وسعها من أجل البقاء في العراق، أو على الأقل، من أجل بقاء العراق مستعمرة إيرانية. هذا ما يفسر كل الجهد الذي يبذله قاسم سليماني قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني من أجل القضاء على أي مقاومة عراقية للوجود الإيراني. هذا ما يفسر تمسكه بعادل عبدالمهدي ويفسر أيضا كل الجهود التي تبذلها إيران من أجل تفادي قيام جيش وطني عراقي له حيثياته وله وزنه وضباطه، الذين لا ولاء لديهم سوى للعراق.

ستكون معركة العراق طويلة، وفي ضوء نتائجها سينتقل موقع إيران على خارطة المنطقة. هناك حلم إيراني كاد أن يتحقق لو لم ينتفض العراقيون. كان أمل آية الله الخميني الذي عرف كيف يجتث الثورة الشعبية الإيرانية على نظام الشاه لمصلحة، بسقوط العراق سريعا. لكن أمان الخميني في 1979 و1980، خابت بعد خوضه حربا مع العراق استمرت ثماني سنوات وانتهت بنسبة انتصار عراقي.

استفاد الخميني كثيرا من تلك الحرب بإرسال الجيش الإيراني إلى الجبهات وإبعاده عن المدن. وسمح له ذلك بتعزيز وضع نظامه، الذي يعتمد على "الحرس الثوري" أكثر بكثير من اعتماده على الجيش النظامي، الذي طالب قاداته الشاه بالحسم باكرا في الشارع، لكنه رفض الاستماع إليهم.

بعيدا عن العقل السياسي التبسطي لصدام حسين، صمد العراق ثماني سنوات في المواجهة مع إيران. وهذا يعود إلى عدة عوامل، في مقدمها الشعب العراقي نفسه، الذي خيَّب آمال الإيرانيين، الذين كانوا يعتقدون أن شعبة جنوب العراق في انتظار الساعة التي يقتربون فيها من الحدود كي يرموا السلاح.

المعركة لا تزال مستمرة منذ عام 1979 وهي بين إيران والشعب العراقي، الذي يرفض الاستسلام. لا يوجد أدنى شك بأن معركة العراق أهم بكثير من معركة لبنان، نظرا إلى أن مستقبل النظام الإيراني أصبح على المحك. لو لم يكن الأمر كذلك، لما كانت تلك الاستماتة الإيرانية في رفض أي تغيير في العراق، بما في ذلك تغيير عادل عبدالمهدي، الذي خدم عسكريته، من الزاوية الإيرانية، ولم يعد أمامه في نهاية المطاف سوى الاستقالة، بدل البقاء أسير لعبة هي جزء من معركة طويلة وخطيرة.

لا بد لهذه المعركة من الانتهاء ذات يوم، لكن يبقى هناك سؤال لغز لا مفر من طرحه: هل مسموح أميركيا أن تسيطر إيران على العراق وثرواته أم لا، وذلك على الرغم من كل ما فعله جورج بوش الابن بتقديمه العراق على صحن من فضة إلى إيران؟

نقاط التوتر الأخرى في العالم من كوريا الشمالية إلى ميانمار وفنزويلا، لأن تلك القضايا لها إحدائيات معقدة وهي موضوعة على الطاولة وعلى مسار تفكيكها. أما قضايا العراق ولبنان واليمن والقضية الفلسطينية فجميع حلولها تمر عبر نهاية نظام إيران، أو سياساته الحالية على الأقل.

انفجار الشارع الإيراني يمكن أن يحدث في أي لحظة رغم قسوة الحرس الثوري والأجهزة القمعية الأخرى، التي أصبحت في وضع انتحاري، لأن مصير النظام كل النظام هو وحدة واحدة لم يعد بالإمكان تجزئتها، ولا حتى بين متشددين ومعتدلين.

اندلاع احتجاجات الإيرانيين مسألة وقت ليس أكثر، وقد سبق أن تفجرت مرارا في العامين الأخيرين، وهي لا يمكن أن تتأخر طويلا برأي المحللين في ظل الوضع الفريد لاندساد جميع أبواب الخلاص من قسوة العقوبات.

وما هي شرارات الثورة العارمة في لبنان والعراق تقرب من إشعال فتيل الانفجار الإيراني، وخاصة ما يحدث في العراق، لأن الانتفاضة يقودها سكان الوسط والجنوب ذي الأغلبية الشيعية، والتي تسعى لإسقاط حكم الطبقة السياسية الطائفية التابعة لإيران.

عوامل انغلاق جميع الأبواب بوجه النظام الإيراني كثيرة ومتراصة، لكن شرارتها الكبرى جاءت من قرار الرئيس الأميركي دونالد ترامب الانسحاب من الاتفاق النووي وفرض عقوبات لا يمكن مقارنتها بأي عقوبات سابقة.

باعتراق المرشد الأعلى علي خامنئي والرئيس حسن روحاني فإن هذه العقوبات لا يمكن التعايش معها إطلاقا، لأنها خنقت جميع الشرايين المالية والاقتصادية، وهي أقسى في طبيعة الحياة اليوم من تأخيرها لو كانت قد فرضت في أي عهد سابق.

بدأ العد التنازلي في ظل استحالة خروج النظام الإيراني من حفرته العميقة. حتى لو رحل ترامب فلن يتمكن أي رئيس مُقبل من رفع العقوبات بعد أن تم ربطها من قبل معظم الدول الكبرى، وخاصة الدول الأوروبية بسلك طهران المرزوع لاستقرار الكثير من دول المنطقة. إذا افترضنا أن النظام الإيراني سوف يصحو عدا ويوافق على إيقاف تدخلاته الخارجية، فإنه سيجد نفسه على منحدر طويل من التنازلات التي يرى سوى سواب في نهاية نفذ طويل جدا.

قسوة العقوبات الحالية لا تمنح السلطات الإيرانية أي مجال للسبر في طريق تنازلات طويلة دون أن تتصعد وتتهار جدرانها المتهاكلة. خروج الخميني من كهوف التاريخ المظلمة بهوية طائفية إقصائية لا تعترف بالحدود وسيادة الأوطان وقوانينها، كان موقنا نكسات من أكبر نكسات التاريخ الحديث



## بداية نهاية مرحلة مظلمة بدأت قبل 40 عاما

وربما أكبرها على الإطلاق.

بل يمكن القول إن وصول "الولي الفقيه" إلى سدة الحكم في دولة كبيرة مثل إيران، لا وجود له حتى في كهوف التاريخ، لأن ذلك العنوان الوظيفي، الذي يجعله وكيل الله في جميع أنحاء الأرض، يفوق كل عناوين أنوار الخلفاء والسلاطين والملوك والقيصرة.

الدمار الذي سببه ذلك النظام لم يقف عند المنطقة العربية، التي احتلت صدارة أهدافه، ولا حتى الدول التي فيها أغليات أو ألقبات مسلمة مثل جنوب آسيا وأفريقيا وجنوب شرق آسيا ودول آسيا الوسطى، بل امتد إلى معظم بقاع العالم، التي طالتها التفجيرات الإرهابية وموجات الهجرة الناتجة عن دمار الكثير من البلدان بسبب أحداث نظام طهران.

زلزال وصول الخميني إلى حكم إيران لا يمكن مقارنته بجميع الثورات والنكسات والحروب التي حدثت في منطقة الشرق الأوسط لأنه مرق النسيج الاجتماعي وأشعل قبلة الإسلام السياسي والنفرات الطائفية والدينية، التي ما كان لها أن تنفجر بهذا النطاق الشامل لولا اختطاف الجماعات الإسلامية الطائفية للثورة الإيرانية في عام 1979.

قبل ذلك التاريخ كان الإسلام السياسي موجودا في هامش ضئيل ومربوط ولا يملك أي فرصة لهدم نسيج المجتمع ومؤسسات الدولة، لكن زلزال وصول الخميني أشعل فتيلته في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

ينبغي أن نشير إلى أن القضية ليست قضية "إسلام سياسي" تحديدا، بل هي قضية استغلال الدين في تدمير أركان الدول وهدم قيم العدالة والحرية والمواطنة المتساوية. واستخدام أي دين بتلك الطريقة أدى ويؤدي على مر التاريخ إلى ذات النتائج.

طوال إقامتي في أوروبا منذ عام 1991 كانت وسيلتي الوحيدة لشرح ما يحدث في الشرق الأوسط لأصدقائي الأوروبيين هي القول: تخيلوا لو أن نظاما كاثوليكيًا مطرفا خرج من كهوف القرون الوسطى ليتولى الحكم في إيطاليا مثلا، وينتجج سياسات دينية طائفية مطرفة ويتدخل في شؤون جميع الدول الأوروبية الأخرى لتصدير ثورته المنطرفة إليها؟

وكان ذلك السؤال يؤدي على الدوام إلى إيقاظ مخيلتهم على حجم الصراعات الطائفية والحروب والمذابني المتطرف، التي يمكن أن تنجم عن ذلك في جميع أنحاء أوروبا. اليوم أغلق الباب على النظام الإيراني الحالي وأصبح من المستحيل فتحه مرة أخرى، ولذلك فإننا اليوم أمام بداية نهاية مرحلة مظلمة بدأت قبل 40 عاما.

وربما أكبرها على الإطلاق.

بل يمكن القول إن وصول "الولي الفقيه" إلى سدة الحكم في دولة كبيرة مثل إيران، لا وجود له حتى في كهوف التاريخ، لأن ذلك العنوان الوظيفي، الذي يجعله وكيل الله في جميع أنحاء الأرض، يفوق كل عناوين أنوار الخلفاء والسلاطين والملوك والقيصرة.

الدمار الذي سببه ذلك النظام لم يقف عند المنطقة العربية، التي احتلت صدارة أهدافه، ولا حتى الدول التي فيها أغليات أو ألقبات مسلمة مثل جنوب آسيا وأفريقيا وجنوب شرق آسيا ودول آسيا الوسطى، بل امتد إلى معظم بقاع العالم، التي طالتها التفجيرات الإرهابية وموجات الهجرة الناتجة عن دمار الكثير من البلدان بسبب أحداث نظام طهران.

زلزال وصول الخميني إلى حكم إيران لا يمكن مقارنته بجميع الثورات والنكسات والحروب التي حدثت في منطقة الشرق الأوسط لأنه مرق النسيج الاجتماعي وأشعل قبلة الإسلام السياسي والنفرات الطائفية والدينية، التي ما كان لها أن تنفجر بهذا النطاق الشامل لولا اختطاف الجماعات الإسلامية الطائفية للثورة الإيرانية في عام 1979.

قبل ذلك التاريخ كان الإسلام السياسي موجودا في هامش ضئيل ومربوط ولا يملك أي فرصة لهدم نسيج المجتمع ومؤسسات الدولة، لكن زلزال وصول الخميني أشعل فتيلته في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

ينبغي أن نشير إلى أن القضية ليست قضية "إسلام سياسي" تحديدا، بل هي قضية استغلال الدين في تدمير أركان الدول وهدم قيم العدالة والحرية والمواطنة المتساوية. واستخدام أي دين بتلك الطريقة أدى ويؤدي على مر التاريخ إلى ذات النتائج.

طوال إقامتي في أوروبا منذ عام 1991 كانت وسيلتي الوحيدة لشرح ما يحدث في الشرق الأوسط لأصدقائي الأوروبيين هي القول: تخيلوا لو أن نظاما كاثوليكيًا مطرفا خرج من كهوف القرون الوسطى ليتولى الحكم في إيطاليا مثلا، وينتجج سياسات دينية طائفية مطرفة ويتدخل في شؤون جميع الدول الأوروبية الأخرى لتصدير ثورته المنطرفة إليها؟

وكان ذلك السؤال يؤدي على الدوام إلى إيقاظ مخيلتهم على حجم الصراعات الطائفية والحروب والمذابني المتطرف، التي يمكن أن تنجم عن ذلك في جميع أنحاء أوروبا. اليوم أغلق الباب على النظام الإيراني الحالي وأصبح من المستحيل فتحه مرة أخرى، ولذلك فإننا اليوم أمام بداية نهاية مرحلة مظلمة بدأت قبل 40 عاما.

وربما أكبرها على الإطلاق.

بل يمكن القول إن وصول "الولي الفقيه" إلى سدة الحكم في دولة كبيرة مثل إيران، لا وجود له حتى في كهوف التاريخ، لأن ذلك العنوان الوظيفي، الذي يجعله وكيل الله في جميع أنحاء الأرض، يفوق كل عناوين أنوار الخلفاء والسلاطين والملوك والقيصرة.

الدمار الذي سببه ذلك النظام لم يقف عند المنطقة العربية، التي احتلت صدارة أهدافه، ولا حتى الدول التي فيها أغليات أو ألقبات مسلمة مثل جنوب آسيا وأفريقيا وجنوب شرق آسيا ودول آسيا الوسطى، بل امتد إلى معظم بقاع العالم، التي طالتها التفجيرات الإرهابية وموجات الهجرة الناتجة عن دمار الكثير من البلدان بسبب أحداث نظام طهران.

زلزال وصول الخميني إلى حكم إيران لا يمكن مقارنته بجميع الثورات والنكسات والحروب التي حدثت في منطقة الشرق الأوسط لأنه مرق النسيج الاجتماعي وأشعل قبلة الإسلام السياسي والنفرات الطائفية والدينية، التي ما كان لها أن تنفجر بهذا النطاق الشامل لولا اختطاف الجماعات الإسلامية الطائفية للثورة الإيرانية في عام 1979.

قبل ذلك التاريخ كان الإسلام السياسي موجودا في هامش ضئيل ومربوط ولا يملك أي فرصة لهدم نسيج المجتمع ومؤسسات الدولة، لكن زلزال وصول الخميني أشعل فتيلته في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

ينبغي أن نشير إلى أن القضية ليست قضية "إسلام سياسي" تحديدا، بل هي قضية استغلال الدين في تدمير أركان الدول وهدم قيم العدالة والحرية والمواطنة المتساوية. واستخدام أي دين بتلك الطريقة أدى ويؤدي على مر التاريخ إلى ذات النتائج.

طوال إقامتي في أوروبا منذ عام 1991 كانت وسيلتي الوحيدة لشرح ما يحدث في الشرق الأوسط لأصدقائي الأوروبيين هي القول: تخيلوا لو أن نظاما كاثوليكيًا مطرفا خرج من كهوف القرون الوسطى ليتولى الحكم في إيطاليا مثلا، وينتجج سياسات دينية طائفية مطرفة ويتدخل في شؤون جميع الدول الأوروبية الأخرى لتصدير ثورته المنطرفة إليها؟

وكان ذلك السؤال يؤدي على الدوام إلى إيقاظ مخيلتهم على حجم الصراعات الطائفية والحروب والمذابني المتطرف، التي يمكن أن تنجم عن ذلك في جميع أنحاء أوروبا. اليوم أغلق الباب على النظام الإيراني الحالي وأصبح من المستحيل فتحه مرة أخرى، ولذلك فإننا اليوم أمام بداية نهاية مرحلة مظلمة بدأت قبل 40 عاما.

وربما أكبرها على الإطلاق.

بل يمكن القول إن وصول "الولي الفقيه" إلى سدة الحكم في دولة كبيرة مثل إيران، لا وجود له حتى في كهوف التاريخ، لأن ذلك العنوان الوظيفي، الذي يجعله وكيل الله في جميع أنحاء الأرض، يفوق كل عناوين أنوار الخلفاء والسلاطين والملوك والقيصرة.

الدمار الذي سببه ذلك النظام لم يقف عند المنطقة العربية، التي احتلت صدارة أهدافه، ولا حتى الدول التي فيها أغليات أو ألقبات مسلمة مثل جنوب آسيا وأفريقيا وجنوب شرق آسيا ودول آسيا الوسطى، بل امتد إلى معظم بقاع العالم، التي طالتها التفجيرات الإرهابية وموجات الهجرة الناتجة عن دمار الكثير من البلدان بسبب أحداث نظام طهران.

زلزال وصول الخميني إلى حكم إيران لا يمكن مقارنته بجميع الثورات والنكسات والحروب التي حدثت في منطقة الشرق الأوسط لأنه مرق النسيج الاجتماعي وأشعل قبلة الإسلام السياسي والنفرات الطائفية والدينية، التي ما كان لها أن تنفجر بهذا النطاق الشامل لولا اختطاف الجماعات الإسلامية الطائفية للثورة الإيرانية في عام 1979.

قبل ذلك التاريخ كان الإسلام السياسي موجودا في هامش ضئيل ومربوط ولا يملك أي فرصة لهدم نسيج المجتمع ومؤسسات الدولة، لكن زلزال وصول الخميني أشعل فتيلته في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

ينبغي أن نشير إلى أن القضية ليست قضية "إسلام سياسي" تحديدا، بل هي قضية استغلال الدين في تدمير أركان الدول وهدم قيم العدالة والحرية والمواطنة المتساوية. واستخدام أي دين بتلك الطريقة أدى ويؤدي على مر التاريخ إلى ذات النتائج.

طوال إقامتي في أوروبا منذ عام 1991 كانت وسيلتي الوحيدة لشرح ما يحدث في الشرق الأوسط لأصدقائي الأوروبيين هي القول: تخيلوا لو أن نظاما كاثوليكيًا مطرفا خرج من كهوف القرون الوسطى ليتولى الحكم في إيطاليا مثلا، وينتجج سياسات دينية طائفية مطرفة ويتدخل في شؤون جميع الدول الأوروبية الأخرى لتصدير ثورته المنطرفة إليها؟

وكان ذلك السؤال يؤدي على الدوام إلى إيقاظ مخيلتهم على حجم الصراعات الطائفية والحروب والمذابني المتطرف، التي يمكن أن تنجم عن ذلك في جميع أنحاء أوروبا. اليوم أغلق الباب على النظام الإيراني الحالي وأصبح من المستحيل فتحه مرة أخرى، ولذلك فإننا اليوم أمام بداية نهاية مرحلة مظلمة بدأت قبل 40 عاما.

وربما أكبرها على الإطلاق.

بل يمكن القول إن وصول "الولي الفقيه" إلى سدة الحكم في دولة كبيرة مثل إيران، لا وجود له حتى في كهوف التاريخ، لأن ذلك العنوان الوظيفي، الذي يجعله وكيل الله في جميع أنحاء الأرض، يفوق كل عناوين أنوار الخلفاء والسلاطين والملوك والقيصرة.

الدمار الذي سببه ذلك النظام لم يقف عند المنطقة العربية، التي احتلت صدارة أهدافه، ولا حتى الدول التي فيها أغليات أو ألقبات مسلمة مثل جنوب آسيا وأفريقيا وجنوب شرق آسيا ودول آسيا الوسطى، بل امتد إلى معظم بقاع العالم، التي طالتها التفجيرات الإرهابية وموجات الهجرة الناتجة عن دمار الكثير من البلدان بسبب أحداث نظام طهران.

زلزال وصول الخميني إلى حكم إيران لا يمكن مقارنته بجميع الثورات والنكسات والحروب التي حدثت في منطقة الشرق الأوسط لأنه مرق النسيج الاجتماعي وأشعل قبلة الإسلام السياسي والنفرات الطائفية والدينية، التي ما كان لها أن تنفجر بهذا النطاق الشامل لولا اختطاف الجماعات الإسلامية الطائفية للثورة الإيرانية في عام 1979.

قبل ذلك التاريخ كان الإسلام السياسي موجودا في هامش ضئيل ومربوط ولا يملك أي فرصة لهدم نسيج المجتمع ومؤسسات الدولة، لكن زلزال وصول الخميني أشعل فتيلته في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

ينبغي أن نشير إلى أن القضية ليست قضية "إسلام سياسي" تحديدا، بل هي قضية استغلال الدين في تدمير أركان الدول وهدم قيم العدالة والحرية والمواطنة المتساوية. واستخدام أي دين بتلك الطريقة أدى ويؤدي على مر التاريخ إلى ذات النتائج.

طوال إقامتي في أوروبا منذ عام 1991 كانت وسيلتي الوحيدة لشرح ما يحدث في الشرق الأوسط لأصدقائي الأوروبيين هي القول: تخيلوا لو أن نظاما كاثوليكيًا مطرفا خرج من كهوف القرون الوسطى ليتولى الحكم في إيطاليا مثلا، وينتجج سياسات دينية طائفية مطرفة ويتدخل في شؤون جميع الدول الأوروبية الأخرى لتصدير ثورته المنطرفة إليها؟

وكان ذلك السؤال يؤدي على الدوام إلى إيقاظ مخيلتهم على حجم الصراعات الطائفية والحروب والمذابني المتطرف، التي يمكن أن تنجم عن ذلك في جميع أنحاء أوروبا. اليوم أغلق الباب على النظام الإيراني الحالي وأصبح من المستحيل فتحه مرة أخرى، ولذلك فإننا اليوم أمام بداية نهاية مرحلة مظلمة بدأت قبل 40 عاما.



الوطن ليس للبيع